الفصل الأول
وجوب تطهير الأرزاق

- ـ تمهيد .
- ـ معنى تطهير الأرزاق فى ضوء القرآن والسنة .
- ـ وجوب التوبة لتطهير الأرزاق .
- ـ وجوب الاستغفار لتطهير الأرزاق .
- ـ وجوب رد الحقوق إلى أصحابها لتطهير الأرزاق .
- ـ وجوب المداومة على العمل الصالح لتطهير الأرزاق .
- ـ الضوابط الشرعية لتطهير الأرزاق .
- ـ الخلاصة .

obeikandi.com

الفصل الأول
وجوب تطهير الأرزاق

تمهيد

لقد ضمن الله لعباده الطيبات من الرزق ، وأمرهم بالسعى للحصول عليه مؤمنين إيماناً راسخاً بأنه ﷻ قدَّره لهم منذ نشأتهم ، والرزق فى الإسلام نعمة من الله وفضل ، يجب شكر الله الذى أجراه ، حتى يزيد وينمو مصداقاً لقوله تبارك وتعالى: ﴿ **وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ** ﴾ [إبراهيم:٧] .

والأرزاق أنواع : أرزاق ظاهرة مثل : الأقوات والملبس والمسكن والدابة والمال ... وأرزاق باطنة مثل : التقوى والصلاح والأخلاق الفاضلة والسكينة والاطمئنان والعلم والصحة ... ونحو ذلك مما أنعم الله على عباده [(١)] .

وهناك موجبات للأرزاق يجب على البشر الأخذ بها طبقاً لأحكام ومبادئ الشريعة الإسلامية ، وطبقاً للنواميس التى خلقها الله سبحانه وتعالى حتى تكون حياة المسلم كريمة طيبة ، ويفوز برضاء الله فى الآخرة ، ومن هذه الموجبات الأخذ بالأسباب والتوكل على الله ، وعندما يأخذ الإنسان بالأسباب قد يخطئ وينحرف عن شرع الله فيعلق بالأرزاق بعض الشوائب مثل الحرام

---

(١) سوف لا نتناول فى هذا الكتاب موضوع الأرزاق حيث خصص له كتاباً مستقلاً بعنوان [**الأرزاق بين بركة الطاعات ومحق السيئات**] مكتبة التقوى ، ٢٠٠٠م .

والخبائث مما يجب تطهيرها حتى تكون تلك الأرزاق خالصة ونقية .

وسوف نتناول فى هذا الفصل موجبات تطهير الأرزاق فى ضوء القرآن والسنة والفقه الإسلامى مع التركيز على التوبة والاستغفار ورد الحقوق لأصحابها ، والمداومة على الأعمال الصالحة ، ويعتبر هذا الفصل تقديماً للفصول التالية والتى سوف يتم التركيز فيها على كيفية تطهير الأموال باعتبارها من الأمور التى يُثار حولها العديد من التساؤلات المعاصرة .

obeikandl.com

♦ ـ معنى تطهير الأرزاق فى ضوء القرآن والسنة

● **تطهير الشىء** : يعنى غسله مما علق به من النجاسة والدنس ويطلق أحياناً على التطهير التزكية والنماء والتنقية .

● **وتطهير القلب** : يعنى صقله مما علق به من ران المعاصى والذنوب ، وأصل ذلك قول الله تعالى : ﴿ **كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ** ﴾ [المطففين:١٤] ، وقوله ﷻ : ﴿ **ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ** ﴾ [الأحزاب : ٥٣] ويقول الرسول ﷺ : «**إن المؤمن إذا أذنب ذنباً، نكت نكتة سوداء فى قلبه،فإن تاب ورجع واستغفر صقل قلبه منها ، فإن زاد زادت حتى تغلف قلبه وذلك هو الران الذى ذكره الله فى كتابه ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾**» [رواه الترمذى وابن ماجه وابن حبان والحاكم] ، وتطهير القلوب يكون من خلال التوبة والاستغفار والكفارات الواردة تفصيلاً فى كتب الفقه[1].

● **وتطهير المسلم نفسه من الذنوب** : يعنى غفران الذنوب التى ارتكبها ، كما فى قوله تبارك وتعالى : ﴿ **إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً** ﴾ [الأحزاب: من الآية٣٣] ، وقيل إن الحج المبرور يطهر المسلم من الذنوب ويعود الحاج كيوم ولدته أمه ، وأصل ذلك قول رسول الله ﷺ: «**من حج ، فلم يرفث ، ولم يفسق ، رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه**»

(١)- يُرجع لمؤلفنا ، [القلوب بين قسوة الذنوب ورحمة الاستغفار] ، مكتبة التقوى ، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م

[رواه البخارى ومسلم والنسائى] ، وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : ﴿ تابعوا بين الحج والعمرة ، فإنهما ينفيان الفقر والذنوب ، كما ينفى الكير خبث الحديد والذهب والفضة ، وليس للحجة المبرورة ثواب إلا الجنة ﴾ [رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح] .

● **وتطهير البدن** : يعنى غسله من النجاسة والجنابة ، وأصل ذلك قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾[المدثر:٤] ، وقوله ﷻ : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُوا﴾ [المائدة: من الآية٦] ، ولقد أنزل الله ﷻ على المسلمين فى غزوة بدر ماءً من السماء ليطهرهم من الجنابة وليثبت به أقدامهم ، كما جاء فى قول الله ﷻ: ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴾ [لأنفال:١١]، فتطهير البدن يكون بالماء أو بالتيمم حسب الوارد تفصيلاً فى كتب الفقه فى باب الطهور .

● **وتطهير المال** : معناه تخليصه مما به من الكسب الحرام، ومن سبل ذلك ما يلى:

١ـ أداء الزكاة المفروضة ، وقيل إن الزكاة معناها الطهارة ، لأنها تطهر النفس من الشح والبخل ومن عبادة المال ، وتطهر المال مما به من شوائب ، كما تطهر المجتمع من التفكك والحقد والكراهية ، ودليل ذلك قول الله ﷻ لسيدنا محمد ﷺ : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [التوبة:١٠٣] ، وفى صدقة الفطر يقول الرسول ﷺ : ﴿ زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث وطعمة

للمساكين ﷺ [رواه أبو داود وابن ماجه] ، ويقول ابن تيمية : ((**إن الزكاة تقى المال الذى خرجت منه ، وتطهر نفس المتصدق وماله**)) .

٢ـ رد الحقوق إلى أصحابها ، أو التخلص منها فى وجوه المنافع وليس بنية التصدق ، أو الإبراء منها .

وخلاص القول : تطهير الأرزاق معناه تخليصها من الحرام عن طريق التوبة والاستغفار ، ورد الحقوق إلى أصحابها ، وتعويض ما فات بالمزيد من الأعمال الصالحات ، وذلك فى إطار أحكام ومبادئ الشريعة الإسلامية .

وتختلف طريقة (وسيلة) التطهير باختلاف نوع الرزق ، هل هو : ظاهرى عينى مادى ، أم باطنى معنوى حسى ، كما تختلف كذلك باختلاف الحقوق المتعلقة بالشىء الحرام : فهل هى حقوق متعلقة بالله ﷻ ؟ أم هى حقوق متعلقة بالأفراد ؟ أم هى حقوق متعلقة بالمجتمع ككل ؟ وهذه المسائل سوف نتناولها بشىء من التفصيل فى فصول هذا الكتاب ، حيث نخصص هذا الفصل للتطهير المعنوى ، والفصول الأخرى لتطهير الأموال .

♦ ـ وجوب التوبة لتطهير الأرزاق

تعتبر التوبة من موجبات تطهير الأرزاق ، وسوف نوضح معناها ومراتبها وشروطها ووجوب الإسراع بها وآثارها على الأرزاق .

● **معنى التوبة ومراتبها** :

التوبة هى : الندم على ما مضى ، والعزم الأكيد على عدم العودة ، والإقلاع عن فعل المعاصى والذنوب ، وأصل ذلك قول الله تبارك وتعالى:﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحاً عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ**﴾ [التحريم : من الآية٨] ، وسئل رسول الله ﷺ عن التوبة النصوح ؟ فقال: **« هى الندم على الذنب حين يفرط منك فتستغفر الله بندامتك عند الحافز ثم لا تعود إليه أبداً »** [رواه ابن أبى حاتم وابن مردويه – ضعيف] .

ويقول الإمام الغزالى رحمه الله : ((**التوبة ثلاثة أمور مرتبة : علم ، وحال وفعل**))[1].

* أما العلم : فهو معرفة عظم ضرر الذنوب وشعور القلب بالتألم .
* أما الحال : فهو ترك الذنب الذى كان ملابساً .
* أما الفعل : فهو الإرادة القوية على ترك الذنب إلى آخر العمر .

وقال عبد الله بن المبارك[2]: ((**التوبة هى الندم على ما مضى من الذنوب والعزم على ألا يعود ، وأن يؤدى التائب كل فرض ضيعه ، ويؤدى كذلك إلى كل ذى حق حقه من المظالم**)) .

---

(١) الإمام أبو حامد الغزالى ، [**إحياء علوم الدين**] ، جـ٤ ، صفحة ٤ .

(٢) نقلا عن : الحارث بن أسد المحاسبى ، [**التوبة**] ، تحقيق عبد القادر أحمد عطا ، دار الفضيلة ، ١٩٧٧م ، صفحة ٥١

obeikandi.com

ويقول ابن قيم الجوزية : ((التوبة منزلة لا تفارق العبد المؤمن ، بل يستصحبها فى جميع المنازل (حالاته) وحتى الممات وهو محتاج إليها دوماً ، ومن لم يتب فهو ظالم لنفسه وجاهل بآفاتها وبربه وبحقه عليه وتقصيره فى ذلك وتعنى الندم على ما سلف من المعاصى الماضية ، والإقلاع عنها فى الحال ، والعزم على عدم العود فى المستقبل ، والاعتذار إلى الله ﷻ ، ومن له حق))[1]

- **شروط التوبة وحقيقتها**

للتوبة الصادقة شروط أوردها الفقهاء والعلماء على النحو التالى [2]:

ـ حالة ما إذا كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى : فشروطها ثلاثة :

١ـ الإقلاع عن المعاصى والذنوب فى الحال .

٢ـ الندم على ما سلف من المعاصى والذنوب .

٣ـ العزم على عدم العودة إلى المعاصى والذنوب فى المستقبل مرة أخرى .

فإن فقد أحد هذه الشروط الثلاثة لم تصح توبته .

ـ حالة ما إذا كانت المعصية تتعلق بحق آدمى : فشروطها أربعة :

يضاف إلى الثلاثة السابقين شرط رابع هو :

٤ـ أن يبرأ من حق صاحبها ، فإن كان مالاً أو نحوه رده إليه ، وإن كان حد قذف ونحوه مكنه منه أو طلب عفوه ، وإن كان غيبة استحله منها .

---

(١) ابن قيم الجوزية ، [مختصر مدارج السالكين] ، مرجع سابق ، ص٤٢-٤٣ .

(٢) محمد بن علان الصديقى الشافعى الأشعرى ، [دليل الصالحين لطرق رياض الصالحين] ، دار الريان للتراث ، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م ، الجزء الأول ، صفحة ٧٨ .

obeikandl.com

ويقول ابن قيم الجوزية[1] فى كتاب مدارج السالكين : ((**إن تمام التوبة يتضمن الضعف والاستضعاف والتذلل والاعتراف بالعجز والإقرار بالعبودية ومداومة الاستغفار ، ويكون لسان حال المذنب : اللهم لا براءة لى فأعتذر ولا قوة لى فأنتصر ، ولكنى مذنب مستغفر وأنت العفو الغفور ، إنك عفو كريم تحب العفو فاعف عنى**)) ، ويقول كذلك : ((**إن للتوبة حقائق ثلاث : تعظيم الجناية واتهام التوبة ، وعدم الاعتذار بالقدر المطلوب**)) .

والتوبة تعتمد أولاً على القلب فإن كان صادقا مخلصاً كانت التوبة نصوحاً، ولا تقبل التوبة إذا كان العبد مصراً على المعصية ، أو يتمنى أن تتاح له الفرصة لارتكابها ، أو تكون باللسان وليست بالقلب .

- **وجوب التعجيل بالتوبة** :

يجب التعجيل بالتوبة ولا يسوف أو يماطل ، كما يجب التعجيل فى رد الحقوق إلى أصحابها ، فإن مات فسوف يقف أمام الله ﷻ ويحاسبه ويعاقبه ، وترد الحقوق إلى أصحابها يوم القيامة .

ولقد أمرنا الله بالتعجيل بالتوبة ، فقال سبحانه وتعالى : ﴿ **وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ [النور: من الآية٣١] ، ولقد ورد عن رسول الله ﷺ العديد من الأحاديث التى توضح فضل المبادرة بالتوبة ، فعن أبى هريرة ﷺ أن النبى ﷺ قال : ﴿ **من كانت لأخيه مظلمة من عرض أو مال ،**

(١) ابن قيم الجوزية [**مختصر مدارج السالكين**] ، إعداد أحمد جاد ، مكتبة دار الدعوة بالإسكندرية ، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م ، الطبعة الأولى ، صفحة ٤٣ .

فليتحلله اليوم قبل أن يؤخذ منه ، يوم لا دينار ولا درهم ، فإن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته ، وإن لم يكن له عمل صالح أخذ من سيئات صاحبه فجعلت عليه ﴾ [أخرجه البخارى ومسلم] ، وعن ابن عباس ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : ﴿ النادم ينتظر من الله الرحمة ، والمعجب ينتظر المقت ، واعلموا عباد الله أن كل عامل سيقدم على عمله ، ولا يخرج من الدنيا حتى يرى حسن عمله أو سوء عمله ، وإنما الأعمال بخواتيمها ، والليل والنهار مطيتان ، فأحسنوا السير عليهما إلى الآخرة ، واحذروا التسويف ، فإن الموت يأتى بغتة ، ولا يغترن أحدكم بحلم الله ﷻ ، فإن الجنة والنار أقرب إلى أحدكم من شراك نعله ﴾ [أخرجه الأصبهانى وإسناده حسن]

● **باب التوبة مفتوح** :

يقول رسول الله ﷺ : ﴿ إن الله ﷻ يبسط يده بالليل ليتوب مسىء النهار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسىء الليل ، حتى تطلع الشمس من مغربها﴾ [رواه مسلم] ، ويعنى ذلك أن يكون المسلم فى كل أحواله تائباً مستغفراً ولا سيما أنه لا يوجد إنسان لا يذنب ، فقد ورد فى الحديث الشريف ، قال رسول الله ﷺ : ﴿ كل بنى آدم خطاء ، وخير الخطائين التوابون ﴾ [رواه ابن ماجة] ، ولا ييأس المذنب من رحمة الله وعفوه ، فهو القائل : ﴿ **قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ** ﴾ [الزمر:٥٣] ويقول الرسول ﷺ : ﴿ لو أخطأتم حتى تبلغ خطاياكم السماء ثم تبتم لتاب عليكم ﴾ [رواه ابن ماجة] .

● **مخاطر تأخير التوبة**

يقول الإمام ابن كثير أن من مخاطر تأخير التوبة[1]:

- أن تتراكم ظلمة المعاصى على القلب ، فتصير دَيْوَناً وطَبْعاً فلا يمكن زواله فيما بعد إلا إذا تدارك الله العبد بتوفيق وعناية ، لأن القلب إذا تمكنت فيه القساوة صعب علاجه ، وسبب ذلك التسويف بالتوبة .

- أن يعاجله الموت فلا يجد مهلة للتوبة فيموت ، فَيَلْقىَ الله بقلب غير سليم ، ولا نجاة إلاّ لمن أتى الله بقلب سليم ، فالقلب أمانة الله عند عبده ، أودعه إياها طاهراً نقياً أبيض نورانيا ، فمن دنس قلبه بالمعاصى فقد خان أمانة ربه ﷻ.

- لا سبيل إلى السعادة إلاّ بالتوبة النصوح الغاسلة للذنوب الماحية للخطايا والعيوب.

ولقد ورد فى تفسير القرآن العظيم لابن كثير : **((لا يجوز للعبد أن يؤخر التوبة ، ويستمر فجوره ، ويقول سوف أتوب حتى يأتيه الموت على شر ما كان))**[2]

وتُقبل توبة المسلم التائب غير اليائس ما لم يغرغر، يقول الله تبارك وتعالى : **﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً ۞ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ**

---

(١) ابن كثير ، [طريق المتقين] ، جـ١ ، صفحة ، ١٤٩ .

(٢) ابن كثير ، [تفسير القرآن العظيم] ، جـ٤ ، ص٢٥ .

السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً ﴾ [النساء: ١٧/ ١٨]

● **أثر التوبة فى تطهير الارزاق**

من آثار التوبة الصادقة تطهير القلب مما علق به من آثار المعاصى والذنوب ، فيحرك الجوارح جميعها نحو تطهير الأرزاق الظاهرة والباطنة مما بها من الدنس والخبائث على اختلاف أنواعها وأشكالها وصورها ، وفى هذا المقام يقول الرسول ﷺ : ﴿ **ألا وإن فى الجسد مضغة إذا صلحت ، صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهى القلب** ﴾ [رواه البخارى ومسلم]

فإذا تاب القلب توبة نصوحاً أمر الجوارح لتتوب ، فإذا تابت الجوارح التزمت بما أحل الله وانتهت عما حرم الله ، وبهذا يتحقق تطهير الأرزاق .

● **لماذا حث الله عباده على سرعة التوبة ؟**

لقد ورد بكتاب الله ﷻ وسُنة رسوله ﷺ العديد من الأدلة على حث الناس جميعاً على سرعة التوبة والمداومة عليها ، ولقد سبق الإشارة إليها من قبل ، منها قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحاً عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ [التحريم:٨] ، وقال رسول الله ﷺ : ﴿ **إن الله يمهل حتى إذا ذهب ثلث الليل**

نزل إلى السماء ، فيقول : هل من مستغفر ؟ ، هل من تائب ؟ ، هل من سائل؟ ، هل من داع ؟ ، حتى ينبلج الفجر ﷺ [رواه مسلم] .

ويقول الدكتور عبد الحى الفرماوى فى كتابه : "طريق السعادة التوبة إلى الله" ، إن للتوبة نفحات خير كثيرة منها[1] :

- التوبة سبب فى الخير كل الخير .
- التوبة تزيد المرء قوة على قوته .
- التوبة طريق من طرق السعادة .
- التوبة توصل الإنسان لرضوان الله .
- التوبة تحقق فى العبد عبوديته لله سبحانه وتعالى وطاعته وإذعانه وإنابته إليه .
- التوبة ترقق القلوب لتخشع لله .
- التوبة تصحح مسار المنحرفين عن الطريق المستقيم .

♦ وجوب الاستغفار لتطهير الأرزاق

● **معنى الاستغفار** :

إذا ورد الاستغفار مفرداً ، فيعنى التوبة ، مثل قول الله ﷻ : ﴿ **فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً** ﴾ [نوح:١٠] ، وإذا ورد مقروناً بالتوبة ، فيعنى طلب الوقاية من شر ما مضى أى ينصرف إلى الماضى ، وتكون التوبة الرجوع وطلب وقاية شر ما يخافه فى المستقبل كما جاء فى قول الله سبحانه وتعالى :

---

(١) دكتور عبد الحى الفرماوى [**طريق السعادة : التوبة إلى الله تعالى**] صفحة ٢٣ وما بعدها .

﴿ وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴾ [هود:٥٢] .

وعن أبى ذر الغفارى ﷺ أن النبى ﷺ قال فى الحديث القدسى : ((يقول الله ﷻ : يا بنى آدم كلكم مذنب إلاّ من عافيت فاستهدونى أغفر لكم ، وكلكم فقير إلا من أغنيت فاسألونى أعطكم ، وكلكم ضال إلا من هديت فاستهدونى أهدكم ، ومن استغفرنى وهو يعلم أنى ذو قدرة على أن أغفر له غفرت له ولا أبالى)) [أخرجه مسلم والترمذى] .

وعن أبى هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال : ﴿ **قال الله ﷻ : أنا عند ظن عبدى بى ، وأنا معه حيث ذكرنى ، والله !! لَلَه أفرح بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالته بالفلاة ، ومن تقرب إلىَّ شبراً ، تقربت إليه ذراعاً ، ومن تقرب إلىّ ذراعاً ، تقربت إليه باعاً ، وإذا أقبل إلىَّ يمشى أقبلت إليه أهرول** ﴾ [رواه مسلم]

- **وجوب سرعة الاستغفار**

عندما يعصى العبد ربه أو يذنب ذنباً ، يجب عليه سرعة الاستغفار للخلاص والطهارة ، ولقد أمرنا الله ﷻ بذلك فقال : ﴿ **وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ۞ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ۞ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۞ أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ**

مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ [آل عمران :١٣٦:١٣٣]

وعندما أخطأت زوجة العزيز بعد أن حصحص الحق أُمِرتْ أن تستغفر وتتوب ، كما ورد فى القرآن الكريم: **﴿ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴾** [يوسف:٢٩]

ومن صفات المتقين : الاستغفار ، ولقد ورد هذا فى قول الله تبارك وتعالى: **﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۞ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ۞ كَانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۞ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾** [الذاريات :١٥ : ١٨] .

ولقد وعد الله سبحانه المستغفرين بأن لا يعذبهم ، كما ورد فى قوله ﷻ : **﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾** [الأنفال:٣٣]

ولقد ورد فى الحديث القدسى أن الله تبارك وتعالى قال : ((**يا ابن آدم ! إنك ما دعوتني و رجوتني غفرت لك على ما كان منك و لا أبالي، يا ابن آدم ! لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك و لا أبالي، يا ابن آدم ! لو أنك أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة**)) [رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح] .

ولقد ورد عن رسول الله ﷺ : **﴿ والله إنى لأستغفر الله وأتوب إليه فى اليوم أكثر من سبعين مرة ﴾** [رواه البخارى] .

• آداب دعاء الاستغفار

الاستغفار دعاء إلى الله بالتذلل والتضرع والاستسلام بالعفو .. والرجاء منه الهداية والاستقامة والسير فى الطريق المستقيم وعدم الانحراف ومخالفة ما نهى الله عنه ، وللاستغفار آداب يجب أن يعلمها المسلم حتى يغفر الله ذنوبه ويستجيب لدعائه من أهمها ما يلى[1] :

- استشعار عظم المعاصى والذنوب وعدم تحقيرها أوالاستهانة بها بل يجب تضخيمها ، والاستعانة بالله بالدعاء : يا حى يا قيوم برحمتك أستغيث ، فالمؤمن ينظر إلى ذنوبه وكأنها فى حجم جبل ، فعن ابن مسعود قال : **« إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه فى أصل جبل يخاف أن يقع عليه ، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب وقع على أنفه فقال به هكذا : طرده »** [متفق عليه] .

- عدم التعلل والبحث عن المعاذير والفهم الخاطئ أن ارتكاب الذنوب والمعاصى من قدر الله لأن الله لا يأمر بالفحشاء والمنكر ، فما أصابك من سيئة فمن نفسك ، يقول ابن القيم:((من ادعى أن ذنبه كان قدرا مقدورا عليه ، لم يستطع دفعه ، فهو ظالم لنفسه كفور جحود)) ، وفى هذا المقام يقول الله ﷻ عن الضالين : **﴿ وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لا**

(١) لقد استنبطنا آداب دعاء الاستغفار من آداب الدعاء بصفة عامة ويرجع فى ذلك إلى كتب الذكر والدعاء .

تَعْلَمُونَ ۞ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾ [الأعراف : ٢٨/ ٢٩]

- استشعار قدرة الله ﷻ ولا مفر من الله إلا إليه إنه ﷻ هو غفار الذنوب فهو القائل : ﴿ **وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى** ﴾ [طه:٨٢] ، ولقد ورد بالحديث : ﴿ **لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون ثم يستغفرون فيُغفر لهم** ﴾ [رواه مسلم] .

- التذلل والانكسار لله عند طلب الاستغفار فهو الخالق البارئ القوى القدير ، وهو غافر الذنب وقابل التوب ، كما قال ﷻ : ﴿ **حم ۞ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ۞غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ** ﴾ [غافر :١ : ٣]

- الإخلاص فى طلب المغفرة والعفو ، فإذا كانت النية من الاستغفار صادقة كان ذلك عبادة ، ويشترط فى العبادة الإخلاص ، مصداقاً لقول الله تبارك وتعالى : ﴿ **وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ** ﴾ [البينة : ٥] .

- عدم اليأس والقنوط من مغفرة الله سبحانه وتعالى ، فإنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون ، فالله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر ، فقد ورد فى الحديث القدسى عن رب العزة : " ... ولو لقيتنى بقراب الأرض خطايا ثم لقيتنى لا تشرك بى شيئا ، أتيتك بقرابها مغفرة ولو بلغت

ذنوبك عنان السماء ، ثم استغفرتنى غفرت لك" [متفق عليه] ، وقوله ﷺ: ﴿ لو أخطأتم حتى تبلغ خطاياكم السماء ، ثم تبتم ، لتاب عليكم ﴾ [ابن ماجة]

- ملازمة الاستغفار ، فعن ابن عباس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ ﴿ من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجا ، ومن كل هم فرجا ، ورزقه الله من حيث لا يحتسب ﴾ [رواه أبو داود] ، وكان رسول الله ﷺ عقب كل صلاة يستغفر الله ثلاثا ، وقبل موته كان يقول : ﴿ سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه ﴾ [رواه البخارى ومسلم] .

- **أثر الاستغفار فى تطهير الأرزاق**

عندما يعصى العبد ربه بأن يكسب مالاً حراماً ، أو يعمل عملاً حراماً ، أو يتصرف تصرفاً مخالفا لشرع الله ، فعليه استشعار الندم على ذلك ويتذلل إلى الله سبحانه وتعالى أن يغفر له ويسامحه عما مضى بالدعاء الصادق ، يلى ذلك التوبة على الالتزام بالحلال الطيب فى المستقبل ويرد الحقوق إلى أصحابها أو يطلب الإبراء منها .

ومن دعاء النبى ﷺ فى هذا المقام ﴿ اللهم اغفر لى ما مضى من عمرى واعصمنى فيما بقى وارزقنى أعمالاً زاكية ترضى بها عنى ﴾

فتطهير الرزق من الحرام الخبيث : يشمل الماضى والحاضر والمستقبل فلا يجوز أن تندم عن الماضى ، وتكرره فى الحاضر أو فى المستقبل ، كما لا يجوز أن تعزم العزم على ألا تعود إلى الحرام فى المستقبل ، ولا تندم على فعله فى الماضى والحاضر ، وأصل ذلك ما ورد فى كتاب الله ﷻ : ﴿ **وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ**

﴿ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعاً حَسَناً إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ﴾ [هود: من الآية٣] ، ففى هذه الآية : استغفار عن الماضى ، إنابة وتوبة وطلب الوقاية من أن يتكرر فى المستقبل .

♦ ـ وجوب رد الحقوق إلى أصحابها لتطهير الأرزاق

تتوقف طريقة رد الحقوق إلى أصحابها حسب طبيعة الذنب الذى دنس الرزق ، ومن هو صاحب الحق على النحو التالى :

● **أولاً : ذنوب تتعلق بالتقصير فى حق الله تبارك وتعالى ، مثل :**

- التأله على الله بالعظمة والكبرياء والعلو والثناء والفخر .
- ترك العبادات والطاعات .
- عدم الأمر بالمعروف .
- عدم النهى عن المنكر .

ويكفر الله هذه الذنوب عن طريق التوبة والاستغفار والعمل الصالح وأصل ذلك قول الله تبارك وتعالى : ﴿ **إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً** ﴾ [الفرقان:٧٠] ، ولقد سبق أن تناولنا ذلك تفصيلاً .

● **ثانياً : ذنوب تتعلق بحق من حقوق الخلق ، مثل :**

- الاعتداء وقطع الطريق بالضرب أو القتل أو التخويف .

- كل صور أكل أموال الناس بالباطل والربا والسرقة والرشوة والغش والتدليس والتكسب من الوظيفة ... ونحو ذلك .
- القذف والغيبة والنميمة وشهادة الزور .
- عقوق الوالدين وقطع الرحم .
- الزنا واللواط .

ويُكَفِّرُ الله هذه الذنوب عن طريق رد الحقوق إلى أصحابها بعد التوبة والاستغفار حسب نوع الحق وإن تعذر ذلك لسبب من الأسباب ، تعطى الحقوق المادية لولى الأمر ، أما الحقوق غير المادية فتطلب المسامحة أو الاستغفار حسب الأحوال .

● **ثالثاً : ذنوب تتعلق بحق من حقوق المجتمع ، مثل :**

- إحداث التلوث والضرر بالمجتمع .
- استحلال المال العام وعدم المحافظة عليه .
- الحرابة (الاعتداء على أموال الناس بالقوة) .
- التهرب من الحقوق المستحقة للمجتمع .
- الزنا واللواط .
- منع الزكاة وفرض المكوس .
- الظلم والبغى وإيذاء الناس والتجسس .

وتكفر هذه الذنوب عن طريق رد هذه الحقوق المغتصبة ، ويمثلها ولى الأمر على النحو الذى سوف نفصله فيما بعد .

● **وجوب تطبيق الحدود والتعزيرات لضمان رد الحقوق إلى أصحابها** :

لقد تضمنت الشريعة الإسلامية الحدود والتعزيرات المختلفة ضد من يرتكب الجرائم السابقة سواء كانت من الكبائر أو الصغائر وذلك لحماية المقاصد الخمسة وهى : حفظ الدين وحفظ النفس وحفظ العقل وحفظ العرض وحفظ المال.

ويتوقف نوع العقوبة على حجم وأثر الجريمة ، فهناك من الجرائم من يتوقف أثرها على صاحبها مثل شرب الخمر والحسد والحقد وترك العبادات .. ، وهناك جرائم يتجاوز أثرها صاحبها وتمس أطرافاً آخرين مثل الزنا واللواط والحرابة ، ولكل نوع عقوبته الخاصة المقررة شرعاً .

ولقد ورد تفصيل الحدود والتعزيزات ضد مرتكبى المعاصى والذنوب فى كتب الفقه المختلفة ، وليس هذا هو المقام لتناولها تفصيلاً [1]، ولكن الذى نود التأكيد عليه : أن رد الحقوق إلى أصحابها من سبل التطهير ، ولا يغنى عن توقيع العقوبات بواسطة ولى الأمر ، وذلك فى ظل دولة تقيم وتحافظ على حدود الله ، فإن لم يقم ولى الأمر بذلك ، فيجب على الفرد المسلم الذى يريد أن يطهر نفسه أن يتوب ويستغفر ويرد الحقوق ويضاعف من الأعمال الصالحة .

---

(١) ابن قيم الجوزية ، [**الداء والدواء**] ، مرجع سابق ، صفحة ١٣١ .

ـــ د. محمد حسين الذهبى ، [**أثر إقامة الحدود فى استقرار المجتمع**]، مكتبة وهبة ، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م

♦ وجوب المداومة على العمل الصالح لوقاية الأرزاق

• العمل الصالح من الإيمان

من مقومات الشخصية المسلمة المؤمنة العمل الصالح ابتغاء وجه الله سبحانه وتعالى ، وأصل ذلك من الكتاب قول الله تبارك وتعالى : ﴿ **فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً** ﴾[الكهف: من الآية ١١٠] ، وفى صورة العصر يقول الله ﷻ : ﴿ **وَالْعَصْرِ ۞ إن الإنسان لفى خُسر ۞ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ** ﴾ [العصر : ١ :٣] ، فقوة الإيمان هى التى تحرك الفرد لعمل الصالحات وتجنب المعاصى والذنوب والسيئات ، يقول صاحب الظلال : ((العمل الصالح هو الثمرة الطبيعية للإيمان ، والحركة الذاتية التى تبدأ فى ذات اللحظة التى تستقر فيها حقيقة الإيمان فى القلب ، فالإيمان حقيقة إيجابية متحركة ، ما إن تستقر فى الضمير حتى تسعى بذاتها إلى تحقيق ذاتها فى الخارج فى صورة عمل صالح ...)) [١].

• التوبة الصادقة تحرك الجوارح إلى العمل الصالح

فإذا كانت التوبة صادقة ، وإذا كان الاستغفار خالصاً، ورُدت الحقوق إلى أصحابها بإيمان ويقين دون تردد أو طمع أو بخل ... تحركت الجوارح نحو أداء الطاعات وترك المحرمات مضحية بكل هوى النفس وإغراءات الحياة الدنيا .

---

(١) سيد قطب ، " فى ظلال القرآن " ، جـ٦ ، صفحة ٣٩٦٧ .

• البديل الحلال للأعمال المحرمة

ومن الإعجاز فى الدين الإسلامى أن الله سبحانه وتعالى عندما حرم شيئا وأمرنا باجتنابه ، أوجد الحلال الطيب وأمرنا بفعله ، والآتى بعض النماذج العملية المستنبطة من الكتاب والسنة :

- حرَّم الله ﷻ عبادة الأصنام والأوثان والشمس والقمر والأشخاص ... وأمرنا بعبادته سبحانه وتعالى وحده الخالق لكل ذلك .
- حرَّم الله ﷻ قتل النفس والانتحار ... وأمرنا بالمحافظة على الأنفس ، وفرض القصاص بضوابط شرعية لتحقيق ذلك .
- حرَّم الله سبحانه وتعالى عقوق الوالدين وأمرنا بالإحسان إليهما .
- حرَّم الله ﷻ الربا ، وأحل الربح الناتج من التجارة الحلال ، وشرع لنا المشاركة والمضاربة والمرابحة والاستصناع والسلم والإجارة وهكذا .
- حرَّم الله العزيز الحكيم الزنا واللواط ، وأحل لنا الزواج ، فمن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء .
- حرَّم الله سبحانه وتعالى الكذب وشهادة الزور ، وأمرنا بالصدق وشهادة الحق مثلما نرى الشمس .
- حرَّم الله ﷻ النفاق بكل صوره وأشكاله ، وأمرنا بالصدق والإخلاص والتقوى .
- حرَّم الله سبحانه وتعالى الغش والتدليس والغرر ... ، وأمرنا بالصدق والشفافية والإفصاح والتبيان .
- حرَّم الله ﷻ شرب الخمر والمسكرات والمدمنات والمفترات ، وأحل الطيبات

obeikandi.com

- حرَّم الله ﷻ الميسر (القمار) وما فى حكمه وحرَّم الاسترسال فى اللهو غير المباح ، وأحل لنا العمل والترويح المشروع الذى يروض القلب والبدن .
- حرَّم الله ﷻ السرقة وقطع الطريق والرشوة والاختلاس والتكسب من الوظيفة ونحو ذلك ، وأحل التكسب الحلال الطيب من العمل فى مجال المباحات .
- حرَّم الله العزيز الحكيم الخيانة ونقض العهود والوعود والغدر ، وأمرنا بالأمانة والصدق والوفاء ورد الأمانات إلى أصحابها .
- حرَّم الله ﷻ التطفيف فى الكيل والميزان وبخس الناس أشياءهم ، وأمرنا بالوفاء بالعهد .
- حرَّم الله سبحانه وتعالى إيذاء المسلمين وغير المسلمين ، وأمرنا بالحب فى الله للمسلمين ، والبر والقسط إلى غير المسلمين المسالمين .
- حرَّم الله ﷻ الإسراف والتبذير والترف والبذخ ، وأمرنا بالاعتدال والوسطية والمشروعية فى الإنفاق .
- حرَّم الله ﷻ الظلم والبغي والتكبر والإعجاب والاختيال والفخر ، وأمرنا بالعدالة فى الأقوال والأفعال والعفو والتسامح والتراحم والتواضع والحلم والأناة والرفق.

فأصحاب المعاصى والذنوب والسيئات الذين أسرفوا على أنفسهم لا ييأسوا من رحمة الله وعفوه ، بل ما زالت أمامهم فرصة مضاعفة الأعمال الصالحات التى أحلها الله ﷻ ، فهو القائل : ﴿ **قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى**

أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [الزمر:٥٣] .

ولقد بشَّرنا الرسول ﷺ بذلك فقال : ﴿ لو أخطأتم حتى تبلغ خطاياكم السماء ثم تبتم لتاب الله عليكم ﴾[رواه ابن ماجه]

● **ضوابط الأعمال الصالحة** .

يحكم الأعمال الصالحة مجموعة من الضوابط الشرعية المستنبطة من مصادر الشريعة نلخصها فى الآتى :

(١) ـ أن تكون مطابقة لأحكام ومبادئ الشريعة الإسلامية .

(٢) ـ أن تكون خالصة لوجه الله تبارك وتعالى .

(٣) ـ عدم مخالفة مقاصد الشريعة التى تتمثل فى حفظ النفس والدين والعقل والعرض والمال .

(٤) ـ أن لا يترتب على القيام بها ضرر للآخرين أو فساد فى الأرض .

(٥) ـ تحقيق المنافع والمصالح المعتبرة شرعاً للأفراد والجماعة وفقاً للأولويات الإسلامية .

● **وجوب المداومة على الأعمال الصالحة لتطهير الأرزاق**

يجب المواظبة على الأعمال الصالحة التى تقى القلب من الفتور والمرض والالتفات إلى عمل المحرمات ، ومن موجبات ذلك أن يكون للمسلم ورد يومى للمحاسبة الذاتية [١] يحاسب نفسه قبل أن يحاسب يوم القيامة ، ومصداقية ذلك

(١) د. حسين حسين شحاتة ، [**محاسبة النفس**] ، دار البشير ، طنطا ، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م .

قول الله تبارك وتعالى : ﴿ **بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ** ﴾ [القيامة :١٤] ، وقول الرسول ﷺ : **« الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى »** [رواه أحمد والترمذى] ، ومن وصايا عمر بن الخطاب رضي الله عنه : ((**حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم ، وتهيئوا للعرض الأكبر، ﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ﴾** [الحاقة:١٨] [أخرجه الإمام أحمد] .

وعندما تتفاعل التوبة النصوح والاستغفار الصادق ، وترد الحقوق إلى أصحابها ، والإكثار من الأعمال الصالحات وتجنب المحرمات ، ومداومة محاسبة النفس وتقويمها ، تطهر القلوب والأفعال والأعمال والأموال ، ويبارك الله عز وجل فى الأرزاق الظاهرة والباطنة ويحيا حياة طيبة فى الدنيا ، ويفوز برضاء الله فى الآخرة ، وهذه هى غاية المسلم .

ولقد وضع فقهاء وعلماء الإسلام مجموعة من الضوابط أو الأحكام الواجب الالتزام بها عند تطهير الأرزاق سوف نتناولها فى البند التالى .

♦ـ الضوابط الشرعية لتطهير الارزاق

(فقه تطهير الأرزاق)

يحكم تطهير الأرزاق مجموعة من الضوابط نستنبطها من كلام الفقهاء والعلماء تتمثل فى الآتى :

● **أولاً : صدق النية والإخلاص لله فى الاستغفار والتوبة**

يجب على المسلم الذى عقد النية على تطهير قلبه وماله أن يكون مخلصاً، صادقاً ، فليست التوبة كلمات تقال باللسان ، ولكن تكون من القلب ، فالتوبة من أعمال القلوب ، فإذا استقرت فيه حَرَّكَت الجوارح جميعاً للاستغفار والتوبة والعمل الصالح . يقول أحد العلماء : إذا بقى فى القلب حلاوة للمعصية ، وتمنى مقارفتها ما وجد السبيل إليها ، وتحديث النفس بلذاتها .. فهذه توبة الكذابين، ويصف أبو هريرة ﷺ صاحبها بأنه المستهزئ بربه ، وروى البيهقى عن ابن عباس ﷺ عن النبى ﷺ أنه قال : **﴿ التائب من الذنب كمن لا ذنب له ، والمستغفر من الذنب وهو مقيم عليه كالمستهزئ بربه ﴾** [ابن ماجه والطبرانى والبيهقى] .

ويقول العلماء والفقهاء إن الشخص الصادق فى توبته لابد أن تتوافر فيه عناصر ثلاثة هى[1] :ـ

(١) دكتور عبد الحى الفرماوى ، مرجع سابق ، صفحة ٢٩ وما بعدها

١ ـ **الفهم** : لكى يميز بين الصواب والخطأ فى أموره من عبادات ومعاملات مع الخلق أو مع الخالق سبحانه وتعالى ، أى يعرف الحلال فيتبعه ويعرف الحرام فيجتنبه .

٢ـ **الشجاعة** : لكى يجد عنده القدرة على مواجهة نفسه بأخطائها وهذا يعتبر من جهاد النفس ، فقد قال رسول الله ﷺ : ﴿ **المجاهد من جاهد نفسه فى الله** ﴾ [رواه الترمذى] ، ويقول العلماء :((الرجوع إلى الحق فضيلة)).

٣ ـ **المثابرة** : ويعنى ذلك أن تنقطع رغبة التائب ويمتنع عن فعله وهذا يتطلب استمرارية مقاومة نفسه وكبح هواها .

● **ثانياً** : **تجنب المشتبهات فى تطهير الارزاق**

من موجبات تطهير الأرزاق الأخذ بالعزيمة والبعد التام عن الأمور التى فيها شك وريبة وعدم اطمئنان للقلب ، ودليل ذلك من الكتاب قول الله تبارك وتعالى : ﴿ **هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات ، فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، وما يعلم تأويله إلا الله** ﴾ [آل عمران : ٧] ، وعن أبى عبد الله النعمان بن بشير رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :﴿ **الحلال بَيِّنٌ ، والحرام بَيِّنٌ ، و بينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لعرضه ودينه ، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعى يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه ، ألا وإن لكل ملك حمى ، ألا وإن حمى الله تعالى في أرضه محارمه ، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا**

فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب [البخارى ومسلم]

فإذا تبين للمسلم أن هناك رزقاً ما مشتبه فيه بين الحلال والحرام فيجب أن يتخلص من الحرام ، ولا يترك هذا لهوى النفس الأمارة بالسوء ، ولقد أمرنا الرسول ﷺ بذلك فقال : **دع ما يريبك إلى ما لا يريبك** [رواه الترمذى والنسائى ، وقال الترمذى حديث حسن صحيح]

وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : ((**كنا نترك تسعة أبواب من الرزق الحلال خشية أن نقع فى الحرام**)) ، ويقول عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه : ((**دعوا الربا والريبة**)) ، وهذه الأحاديث والأقوال وغيرها تدل على أنه من الورع ترك ما يريب إلى ما لا يريب .

● **ثالثاً : التعجيل بتطهير الارزاق :**

يعتبر تطهير الأرزاق من أعمال الخير الواجب الإسراع فيها ، ويقصد بذلك أن يسارع العبد بالتخلص من الحرام الخبيث ، ولا يماطل أو يسوف أو يتلكأ ، فالتطهير من الموجبات التى تريح القلب من القلق والاضطراب الموجب للشك ، ولا يسكن قلب المؤمن الورع وعنده شك ، والله سبحانه وتعالى يأمرنا إلى الاستباق فى الخيرات ، فيقول الله عز وجل : ﴿ **وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعاً إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ [البقرة :١٤٨] ، وكان رسول الله ﷺ قدوة حسنة فى مسألة التعجيل بالتوبة والاستغفار ، فعنه ﷺ أنه قال : **إن الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسيء**

النهار و يبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها [رواه مسلم والنسائى]

ولقد سبق أن ذكرنا أن التسويف فى التوبة بين خطرين عظيمين : خطر تراكم ظلمة المعاصى والذنوب ، وخطر معاجلة الموت[1] .

ولقد حُكِيَ عن رسول الله ﷺ : **أن الحسن قد أكل تمرة من مال الصدقة فوضع الرسول ﷺ إصبعه فى حنك الحسن حتى أخرجها مع اللعاب ، وقال لا تحل الصدقة لمحمد ولا لآل محمد** [رواه البخارى والنسائى وأبو داود]

وفى يوم من الأيام اشتد الجوع بأبى بكر الصديق رضي الله عنه وأكل من الطعام الذى أحضره له خادمه دون أن يسأله عن مصدره فتعجب الخادم وسأله : ((**يا سيدى لقد كنت تسألنى كل يوم عن مصدر الطعام فما بالك اليوم لم تسألنى كعادتك ؟ ، فتوقف أبو بكر عن الطعام خائفا مضطرباً ، وقال لخادمه : لقد أنسانى الجوع ذلك ، فمن أين جئت بهذا الطعام ؟ ، فقال الخادم : كنت تكهنت لإنسان فى الجاهلية فأعطانى هذا الطعام ، فأدخل أبو بكر الصديق أصابعه فى فمه وجعل يتقيأ ما أكل وهو يصيح : لقد كدت تهلكنى يا غلام ، ثم أخذ يدعو ويقول : اللهم اغفر لى ما شربته العروق واختلط بالدماء ، لأنه لم يستطع إخراجه ، فقيل له : أتفعل كل ذلك من أجل هذه اللقيمات؟ فقال : والله لو لم**

(١) عبد الرحمن ابن محمد حافظ ، [**طريق المتقين**] ، الجزء الأول ، صفحة ١٤٩ .

تخرج إلا مع روحي لأخرجتها ، فقد سمعت رسول الله ﷺ يقول : ﴿ كل لحم نبت من السحت فالنار أولى به ﴾ ، ولقد خشيت أن ينبت شئ من جسدي من هذه اللقيمات الحرام فأصير بسببها إلى النار))[1] .

من هذه الأحاديث وغيرها كثير يجب على المسلم الورع أن يعجل عملية التطهير قبل أن يلقى الله وهو محمل بالذنوب والآثام .

● **رابعاً : سرعة التخلص من الحرام :**

يجب أن يكون ما يتقرب به العبد إلى الله ﷻ من الحلال الطيب ، وليس من الحرام الخبيث ، ودليل ذلك قول الله تبارك وتعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ** ﴾ [البقرة : ٢٦٧] ، كما ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال : ﴿ **يا أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا ، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال : ﴿ يا أيها الرسل كلوا من الطيبات و اعملوا صالحا إني بما تعملون عليم ﴾ و قال : ﴿ يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ﴾ ، ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء : يا رب يا رب ! و مطعمه حرام و مشربه حرام و ملبسه حرام و غذي بالحرام فأنى يستجاب لذلك** ﴾ [الحديث أخرجه البخاري ومسلم] ، وتأسيساً على ذلك ، يتم التخلص من المال الحرام ، فإذا لم

(١) ذكره الزبيدي في الإتحاف بلفظ : " **كل لحم نبت من حرام فالنار أولى به** " ، (رواه الترمذي وأخرجه الطبراني).

يعرف صاحبه ليرده إليه – أنفقه فى وجوه المنافع العامة للمسلمين – ولا يعود على من اكتسبه من حرام أى نفع ، ولا يعتبر صدقة يؤجر عليها وبهذا أفتى العلماء المسلمون[1] ، ولنا عود لمناقشة هذه المسألة بشىء من التفصيل فيما بعد .

ولا يجوز على الإطلاق الاستمرار فى الحرام بدعوى إنفاقه فى مصالح المسلمين العامة ، بل يجب العزم والتأكيد على عدم العودة إلى المعاصى والذنوب مرة أخرى إذا كانت التوبة صادقة ، ولا يجوز كذلك أن ينتفع التائب من المال الحرام عند التخلص منه بطريق مباشر أو غير مباشر .

● **خامساً : عدم التوسع والتعدى فى تفسير الضرورة للانتفاع بالحرام :**

من المداخل الرئيسية للحرام الخبيث مسألة الضرورة ، وبدأ بعض الناس يأكلون الحرام والخبيث تحت ستار القاعدة الشرعية : ((**الضرورات تبيح المحظورات**)) ، إن هذه القاعدة أصبحت تطبق فى غير موضعها ، ولكن للضرورة ضوابطها الشرعية .

يقول المرحوم الشيخ محمد أبو زهرة وهو من كبار علماء الأزهر : ((**أما الضرورة فهى ما يترتب على تركه تلف النفس أو عضو من أعضاء الجسم**)) ، ويقول الشيخ محمد عبد الله الخطيب : ((**أنه لا يؤخذ من المحرمات التى تباح للضرورة إلا ما يسد الرمق**)) ، وأن للضرورة ضوابط شرعية هى :

---

(١) من فتاوى المؤتمر الثانى للمصرف الإسلامى :[**فتاوى شرعية فى الأعمال المصرفية**] ، محرم١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م ، ص٣١

١- يشترط أن تكون الضرورة ملجئة بحيث يجد الفاعل نفسه أو غيره فى حالة يخشى منها التلف على النفس أو الأعضاء .

٢- يشترط أن تكون الضرورة قائمة لا منتظرة ، فليس للجائع أن يأكل الميتة قبل أن يجوع جوعاً شديداً يخشى منه على نفسه .

٣- ألا يكون لدفع الضرر وسيلة إلاّ ارتكاب هذا الأمر ، فلو أمكن دفع الضرورة بفعل المباح ، امتنع دفعها بفعل المحرم ، فالجائع الذى يستطيع شراء الطعام ليس له أن يحتج بحالة الضرورة إذا سرق طعاماً .

٤- أن يدفع الضرورة بالقدر الكافى اللازم لدفعها ، فليس للجائع أن يأخذ من طعام غيره إلاّ ما يرده .

ولقد ورد فى كتاب الله عز وجل العديد من الآيات حول ضوابط الضرورة منها قوله عز وجل : ﴿ **إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلا عَادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾ [البقرة : ١٧٣] ، وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ **وَمَا لَكُمْ أَلاَّ تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلاَّ مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ.....** ﴾ [الأنعام : ١١٩] .

وتطبيق تلك الضوابط على تطهير الأرزاق ، يتمثل فى تحديد الحرام والذى يعفى عنه بسبب الضرورة إذا توافرت الشروط السابقة ، وكذلك عند التخلص من الحرام ، فلا يجوز أن ينتفع به الإنسان إلا إذا وصل به الحال إلى الهلاك ، كما لا يجوز الرجوع مرة أخرى إلى الحرام والخبائث بعد التوبة إلا عند الضرورة .

♦ الخلاصة

لقد تناولنا فى هذا الفصل موجبات تطهير الأرزاق بالتوبة والاستغفار ورد الحقوق إلى أصحابها والمداومة على الأعمال الصالحات ، ودليل قول الله تبارك وتعالى : ﴿ **إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً** ﴾ [الفرقان:٧٠]

ويحكم تطهير الأرزاق مجموعة من الضوابط الشرعية ، من أهمها :

- صدق النية على التطهير .
- الإخلاص لله والإنابة .
- تجنب الشبهات عند اختيار وسيلة التطهير .
- التعجيل وعدم التردد فى عملية التطهير .
- سرعة التخلص من الحرام وتجنب التسويف .
- عدم التذرع أو التأويل فى تفسير (**الضرورات تُبيح المحظورات**) .

وبذلك قد عرضنا الأحكام والمبادئ الشرعية لتطهير الأرزاق وهذا ينقلنا إلى كيفية تطبيقها على تطهير الأموال باعتبارها من مقاصد هذا الكتاب .

obeikandl.com